بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعالج هذا البحث موضوعا على جانب كبير من الأهمية وهو حال الفناء فى التصوف الإسلامى ، وموضوع الفناء من الموضوعات الرئيسية للتصوف الإسلامى ، بل هو المحور الرئيسى الذى تدور حوله نظرياته المختلفة .

ولقد شكلت الجوانب الأساسية للفناء مصدرًا خصبا لعديد من الاتجاهات النفسية ، والأخلاقية ، والعرفانية ، والوجودية أيضا .

١ – ذلك من أن معانى الفناء عند صوفية الإسلام عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشىء من لوازمها ، أو فقدان الشعور بالأنا مؤقتا ، ويقترن هذا بما يعرف عندهم بظاهرة الشطح أو ما أطلقنا عليه اصطلاحا « التجاوزات » فى مرحلة أولية مبكرة عند الزهاد الأوائل . ولقد شكل هذا الجانب بالإضافة إلى عدم الإحساس بالآلام ، أو الفناء عن الآلام ، الفناء فى جانبه النفسى .

٢ – ومن معانيه كذلك فناء الإنسان عن أوصافه المذمومة واتصافه بأضدادها من الصفات الحميدة فيما عرف بجانبى التخلى والتحلى ، وهذا يشكل الجانب الأخلاقى للحال أو ما اعتبرناه بداية جديدة لما يمكن أن يكون نظرية أخلاقية فى الفناء .

٣ – ومن معانيه كذلك الفناء عن السوى شهودًا أو وجودًا ، أو بعبارة أخرى الفناء عن شهود ما سوى الله ، أو الفناء عن وجود ما سواه ونفى التكثر والتعدد المشاهدين فى الوجود ، ولقد ترتب على هذا الفناء نظريات مختلفة كالاتحاد ، والحلول ، ووحدة الوجود ، أو القول بالاثنينية بالرجوع من الفناء إلى البقاء . أو الفناء عن إرادة السوى ، وهو الفناء حقا ، وهو التوحيد الخالص ، الذى عدته شهادة ألا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

وقد شكلت هذه الاتجاهات الجانب الوجودى لموضوع الفناء . برغم الأهمية للموضوع

فإنه لم يحظ من قبل بدراسة متخصصة ومتكاملة يمكن أن تكشف عن أبعاده المختلفة وعن أهمية الدور الذى لعبته ظاهرة الفناء فى تشكيل جل نظريات التصوف الإسلامى .

ورغم علمى بما يكتنف الموضوع من صعوبات ، وذلك بسبب اتساع المجال الذى يشغله فى التصوف الإسلامى وعمق المعانى التى يهدف إلى إبرازها وتعدد المصطلحات التى ترسم الصورة النهائية لحال الفناء ، والمرادفات اللغوية الكثيرة لمصطلح الفناء ، وكذلك باعتباره حالة وجدانية ، لا يصلح فى دراستها إلا منهج الاستبطان النفسى ، رغم كل هذه المحاذير فإنى قد أقدمت على اختيار الموضوع وجمعت من مصادر البحث ما أمكننى سواء من المصادر الصوفية الأصلية أو من الدراسات الحديثة والمعاصرة ولم يقف جهدى عند حد قبول الآراء على ما هى عليه بل لقد حاولت قدر طاقتى مناقشة هذه الآراء والتعرض لها بالنقد والتحليل .

ثم إنى قد حاولت الاستفادة بشكل علمى من المصادر الأجنبية للبحث ، كما لم يغفل البحث بعض المقارنات الحيوية وكذلك التتبع التاريخى لجذور مصطلح الفناء ، أين نشأ ، وكيف طور ؟ وعلاقته بما ورد فى الكتاب والسنة مع المقارنة بين المعانى المختلفة للمصطلح عند المدارس الصوفية المتعددة ، وكذلك معانى المصطلح المختلفة فى المصادر الأجنبيه واشتقاقاته اللغوية .

ويعنى الفصل الأول بدراسة الفناء عند صوفية الإسلام مع التتبع التاريخى للمصطلح ، ولقد بدأنا بحثنا بما وجدناه فى القرآن الكريم وفى الحديث بما يمكن أن يستخلص من هذين المصدرين من شواهد على حال الفناء ثم تبعنا ذلك بدراسة متفحصة لأحوال الزهاد وما ساد عصرهم من أشعار فى الحب واستغراق فى مناجاة المحبوب وكذلك تقبلهم لأشد صنوف العذاب دون الإحساس بالآلام . مما يؤكد أن حال الفناء عند صوفية المسلمين قد بدأ فناء عن الآلام عند زهاد القرنين الأول والثانى الهجريين ، ويعالج الفصل الثانى بالتفصيل ظاهرة الفناء باعتبارها ظاهرة نفسيه تتعلق بوجدان الصوفى وأحوال السكر والغيبة والشطح وكذلك ظهور الرمزية فى التعبير .

وقد طرحت العديد من الأسئلة فى هذا الفصل وعنيت عناية دقيقة بالإجابة عليها . وهى :

١ – ما هى العوامل النفسية التى تؤدى بالصوفى إلى حال الفناء ؟ وما هى أنواع الرياضات الممهدة لهذا الحل ؟ .

٢ – هل يقترن الفناء بغيبة كاملة عن الوعى ؟ هل هناك دليل على ذلك عند الصوفية ؟ أم هو غيبة مؤقتة يعود بعدها الصوفى إلى ذاته ؟ .

٣ – ما هى العلاقة التى تربط حال الفناء بالبقاء ولماذا يعود الصوفى دائما من حال الفناء إلى حال البقاء ؟

٤ – ما هى العلاقة بين ظاهرة الشطح وحال الفناء ؟ وتتبع لظاهرة الشطح وكذلك كيفية التعبير عن حال الفناء النفسى .

كلية الآداب جامعة القاهرة
المنصورة ١٩٩٣ م

د / إبراهيم ياسين

obeikandl.com